العوام في الحملات الصليبية على بلاد الشام
أفكارهم وهيئتهم ١٠٩٥ ـ ١١٩٢م.

إعداد

الباحث/ عبد الوهاب محمد يحيى

باحث ماجستير بقسم التاريخ تخصص" العصور الوسطى"

جامعة صنعاء باليمن

مقدمة:

كان من أهم نتائج الصراعات الحربية في المجتمع الغربي تحمس شعوبهم في تلبية أي نداء يدعوهم للخلاص مما هم فيه، فحينما قست حياتهم المعيشية تجمعوا جماعات في السير إلى الأراضي المقدسة عندما ناداهم أصحابها لنجدتهم، مستغلين ما يحدث في بلادهم من سلبيات اجتماعية واقتصادية حافزا مهما لمشاركتهم في الحرب ضد المسلمين، لما أعلنت البابوية بدء تجهيز الحملة الصليبية الأولى رسمياً ساهم العوام في إعدادها، فحققت نجاحاً مهماً في تأسيس دولة صليبية في الشام كانت رمزاً لتوافد الآلاف من الشعوب الغربية إليها بحجج مختلفة حتى سقوطها سنة ١١٨٧م. وبهذا همشت مواقفهم في تحقيق الانتصارات وتقديم التضحيات في سبيل ما وصلوا إليه في الشرق، مع ندرة وضوح رؤيتهم في خوضهم الحروب المتتالية وقتل الكثير منهم في سبيل ذلك. وعدم بيان هيئتهم وأسلحتهم التي كانوا يرتدونها، وتموينهم باللوجستيات المادية والمعنوية لمواصلة المسير في تحقيق أهدافهم التي خرجوا في سبيلها.

كما تطرق البحث إلى دراسة العوام في الحملات الصليبية على بلاد الشام، أفكارهم وهيئتهم بين عامي ١٠٩٥-١١٩٢م، واشتمل هذا البحث على مقدمة تعرض أهمية مشكلة البحث والهدف منه، وينقسم إلى ثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث. وقد كان المبحث الأول يتحدث عن الحرب المقدسة في فكر العوام، ثم تناول المبحث الثاني هيئة العوام في الحملات الصليبية، كما شمل المبحث الثالث الأسلحة المستخدمة في الحملات ذاتها. ويهدف البحث إلى معرفة صور العوام ورؤيتهم للحرب المقدسة، مع التعرف على هيئتهم التي كانوا عليها، وما هي أنواع الأسلحة التي استخدموها، وكيف حصلوا على المؤن أثناء مشاركتهم الحملات الصليبية.

المبحث الأول- الحرب المقدسة في فكر العوام:

كانت رؤية العوام للحرب الصليبية تنبثق من الرؤى والخوارق والرغبة لنيل الشهادة في سبيل الرب، والشائعات واتخاذ النذور والوفاء بها لبث الحماس القتالي في مواجهة أعدائهم، وسيتم مناقشة ذلك بالتفصيل فيما يلي:

أولاً: الرؤى؛ فقد كانت تظهر حينما تشتد المحن ويتسرب اليأس إلى نفوس العوام الصليبيين. وتعد الرؤى وتنتشر من قبل القساوسة التابعين للقيادة العليا للجيش الصليبي المقربين من عامتهم، فيكون لها مكانها في التصديق عند غالبية العوام وغيرهم خاصة إن كانت هذه الرؤى تنص عن وعد الرب بالنصر أثناء تخليهم عن خطاياهم المسببة في زيادة محنهم ووعده إياهم عن طريق دعاته من رجال الدين بمساعدتهم ضد أعدائهم؛ مما يعطي هؤلاء العوام روح حماسية جديدة في القتال خاصة بعد أن قرر البعض منهم ترك الحرب والفرار بأنفسهم خشية هلاكهم المحدق من الأعداء[١]، وعلى سبيل المثال؛ فقد كانت رؤية الحربة المقدسة[٢] من الرؤى المساعدة على تنشيط الحماس القتالي لدى العوام وغيرهم من الصليبيين داخل مدينة أنطاكية بعد حصار الأتراك لهم[٣] ويعتقد أن اكتشاف بطرس بارثولوميو Peter Barthelemi[٤] للحربة المقدسة كان وقت معاناة العوام من المجاعة والخوف والحصار والقلق الذي يحيط بهم من كمائن الأتراك في أنطاكية، حيث جاءت الفكرة لبث الأمل وروح القتال بين الناس داخل الأسوار لتثبيتهم في الدفاع عن المدينة المحاصرة بعد معاناتهم منشدة حصار المسلمين لهم، وانطلاقهم في مواجهة المسلمين بحماس، فكانت فكرة اكتشافها أحد أسباب انتصار الصليبيين في أنطاكية وتحركهم في المسير نحو الأراضي المقدسة. وهنا لا بد من الوضع في الحسبان أن بعض الرؤى كانت تختارها الجهات العليا، وتوجهها توجيهاً ترفع من معنويات العامة لقتال أعدائهم[٥].

وتعود أهمية هذه الرؤى من تأثيرها على الصليبيين من حيث أنها تعطينا تصور عام عن هيئتهم التي كانوا عليها في الحملات؛ مما يسهل على المتتبع لها بالتحليل والتخيل التصوري من خلالها لملابس العوام من الثياب الرثة دون الأكمام وكل ما يتكلمه الراوي يحكي عن رؤيته التي يتسطيع أن يرويها في ظل ثقافته المحدودة ومناظر الناس حوله في المجتمع الأوروبي. وحينما تقص هذه الرؤى تنتشر سريعاً بين أوساط المشاركين في الحملات أو الناس المحاصرين للمدن؛ وقد يعود سرعة التصديق للشائعات في زيادة نسبة جهل هؤلاء العوام وتفشي الأمية في أوساط مجتمعهم الغربي قبيل الحروب الصليبية[٦].

ثانياً: الخوارق؛ فقد كان موقف الثقافة الغربية منها شيئاً مهماً يمس فكرة المسيحيين ويؤمن بها معظم عوامهم في حياتهم الدينية، وعندما جاء السبيل لأعلان هذه الخوارق للمحاربين أيقظت روح القتال لديهم أيضاً، ويظهر وراء إعداد الخوارق إناس لهم حياة تعبدية من قبل حيث ينطق بها ويصدقها الناس ويتم إعدادها بالتخطيط المحكم لكي يصدقها هؤلاء الفلاحون البسطاء ويزيد من تمسكهم بصدق ما يتكلمه هؤلاء

السادة الذين نذروا أنفسهم في سبيل تحقيق ما يدّعونه للعامة من مقالات مرتبة حينما يتم التحقق منها يجدوها أمام أبصارهم. فمثلاً؛ عند عبور حملة الأمراء لمضيق البسفور وعلى حد قول فوشيه الشارتري، بعد هلاك عامة الناس منهم في البحر وفزع بقية صليبي الحملة الأولى من المشاهد المروعة في غرق إخوانهم في البحر وهم لايزالوا منتظرين السفن تحملهم من الشاطئ مكان إنطلاقهم إلى البر الأسيوي تأتي نسمات الرب عليهم أثناء عودتهم إليه فتتجلى الرياح اللطيفة لمساعدتهم فترفع الأشرعة للسفن من جديد بعد توقفها ويفرح الناس بالمسير نحو الشواطئ الأسيوية ثم العبور منها إلى الأراضي المقدسة وترفع أصوات الطبول إبتهاجاً بما سهله الرب من أمرهم وتسخير هذه المعجزة لمساعدتهم في حربهم ضد أعداء الرب[٧].

كما تعد الظواهر الطبيعية أمراً يصدقة عوام الصليبيين حيث يؤمنوا بها إيماناً دون تفريط في عدم تصديقها بل تعد أحد الطبائع الدينية الممارسة في طقوسهم التي يؤمنوا بها والموهوبة من قبل الرب وحده. ومثلها مثل بقية الرؤى التى تقص عليهم في إثارة حماس القتال وشد العزيمة وإظهار روح الانتصار المستمد من الرب الناصر لأتباعه المتبعين لمنهجه ودعاته. ومثال ذلك؛ عند حصار الأتراك للصليبيين داخل أنطاكية عام ١٠٩٨م، ويعد اشتداد معاناة الحصار عليهم من الأتراك واستواء الغني والفقير جميعاً في البحث عن الخبز ترك غالبيتهم مواقعهم العسكرية داخل المدينة المحاصرة باحثين عن ما يسد رمقهم. فتجلت سحائب الخوارق الربانية فرأوا وهجاً مدهشاً في السماء، وفي الوقت نفسه شعروا بحركة عظيمة في الأرض جعلتهم يهتزوا جميعاً، ثم رأوا في نفس الوقت علامة صليب ذات لون يميل إلى البياض، يتقدم صوب الشرق في مسار مستقيم[٨]. ونتبين من ذلك مدى تأثير هذه الخارقة الطبيعية على نفوس كثير من عامة الصليبيين.

وقد ذكر شهود عيان من الصليبيين أنهم خاضوا العديد من المعارك مع الأتراك، وعند حصار كربوغا Kerbogha[٩] لمدينة أنطاكية وإحاكمه الحصار عليها ظهرت خوارق جعلت العوام وقادتهم خلال مشاهدتهم لها أقوياء في مواجهة الأتراك فحققوا إنتصاراً عليهم بعد تسرب اليأس إلى نفوسهم بالهزيمة المتوقعة قبل المواجهة والموت المحقق على أيدي الأتراك، وعلى سبيل المثال؛ بعد تجمع الأتراك حول أسوار أنطاكية وإحاطتهم بالصليبيين ورميهم بالرماح والأقواس، شاهد الصليبيون حينها عدد لا يحصيه العدّ من قوات مجهولة تنطلق من ناحية الجبل ممتطية صهوة جياد بيضاء وبيدها رايات بيض، فلما شاهد العوام منظر هذا الجيش أدركوا أنه نجدة المسيح لهم، وقد شاهد هذا المنظر العديد من رجال الحملة. فساهموا في شّد عزيمة هؤلاء المحاصرين والنصر في نهاية المعركة للصليبيين[١٠]. ولهذا يتضح تأثير مشهد القوات المجهولة في

رجال الكنيسة والأمراء يلبسون ثياب مغايرة للفلاحين والفقراء في الحملة ذاتها[٢٢]. ومثال ذلك؛ ما كان يرتديه مندوب البابا[٢٣] أوربان الثاني في الحملة الأولى ورجال الدين للملابس البيضاء. وفي المقابل وكما ذكرنا آنفاً كان الفقراء فيها يلبسون ثيابا رثة وهم الذين عانوا في سفرهم إلى الشرق[٢٤].

لقد أفادتنا بعض الأمثلة التاريخية في تصور هيئة العوام في الحرب الصليبية ومدى معاناتهم أثناء مسيرهم إلى الأراضي المقدسة عندما وضحت معالم معظم مشاركيهم ضمن الحملات على بلاد الشام، فقد كان العديد من رجال الحملات يسيرون فيها وعليهم ثياب رثة ظاهرة عليها الأوساخ القذرة، ومنهم من لبس الصوف لزهده في الحياة وتقربه إلى الأخرة[٢٥]. وعلى سبيل المثال؛ ما ذكره ريموندأجيل عندما وصف بطرس في روايته عن الحربة المقدسة وما ترتب عليها من تصديق الآخرين قائلاً: "أن هيئة القديس أندرو كان يرتدي ملابس قديمة ممزقة عند الأكتاف، وعلى الكتف الأيسر رقعة من القماش بينما كان الكتف الأيمن عارياً"[٢٦]. كل ما أشار إليه من هيئة، قد كانت تتجسد في صور من شارك من العوام في الحملات ذاتها.

بيد أن بعض أفراد العوام في الحملة الصليبية الثانية كانوا قد لبسوا نوع من الثياب ذات السترة مع الأكمام الضيقة التي يميز بها بين الشبان والشيوخ في الحملة ذاتها، ولم يكن للفقراء عباءة يلبسونها. كما أنهم يرتدون الملابس الحريرية الرخيصة مخيطة الأكمام والأطراف بحيث تتحرك هذه الملابس بصورة دائمة دون عوائق تحيط بصاحبها، وقد كان هذا الزي الذي يرتديه الفقراء من الثياب يعد أرخص أنواع الأقمشة المنتشرة في أسواق غرب أوروبا[٢٧]. ويتضح تنوع ملابس العوام بين الثياب الرثة التي عليها أوساخ، والرخيصة التي كانت أرخص أنواع الملابس المنتشرة في أسواقهم الغربية؛ لشدة الحاجة التي يعانيها الإنسان البسيط حينها.

ثانياً: الشارات؛ فقد كانت الهيئة المشتركة للعوام في لبسهم للشارات الصليبية على أكتافهم، والتي تعبّر عن اعتقادهم الديني الذي ساد في أنحاء أوروبا ومعظم المؤمنين بالمسيحية في بلاد الشام بصلب السيد المسيح عليه السلام في الأراضي المقدسة – كما يعتقدون، ومما يزيد حبهم للصليب وتعليقه على ملابسهم وتوضيحه للعيان توفير القماش وتخييطه على ملابسهم، حتى أنه تم تمزيق ملابسهم لذلك[٢٨]. كما يتبين أن الشارة التي تم تخييطها على ملابس المشاركين في الحملات العسكرية نحو الأراضي المقدسة عملية مرتبة من الكنيسة ورجال دينها الذين لهم ارتباط بذلك منذ الحملة الأولى حينما خيط رجالها الشارات على قطع قماشية ووضعوها على أكتافهم وصدورهم بأمر البابوية. وعلى أثرها فقد تخلف كثير من الرجال والنساء في بلدانهم

عن الحملة الأولى، وعندما أتيحت الفرصة لهؤلاء المتخلفين سنة ١١٠١م في دعوتها للخروج إلى بيت المقدس لقتال المسلمين وزيارة القدس لبسوا شاراتهم المقدسة على أكتافهم أيضاً[٢٩].

في حين تدفق على آسيا الصغرى في خريف عام١١٤٧م عددٌ كبير من المشاة الصليبيين واضعين على ظهورهم قطعاً من القماش على شكل صلبان، وقاصدين بلاد الشام بعد أن خطب فيهم مبشر الحملة من قبل الكنيسة برنارد من كليرفو مبيناً أهمية الشارات الصليبية في مواجهة المسلمين وسيكون الحصول عليها بيسر خاصة أن لها طريق مباشر في مغفرة الذنوب على حد قوله. والأهم في سياق كلامه الحث على من يخاطبهم بالضرورة الواجبة كمرشد ديني الحصول على القطع القماشية التي لاتساوي شيئاً في أثمانها المادية لكنها عظيمة في قلوب من يحملها فيقول: "إن القماش الذي صنع منه الصلبان لا يساوي الكثير إذا ما بيع؟"[٣٠]. حيث تؤكد هذه الخطبة قدسية الشارات عندهم ومدى تضحية هؤلاء الأفراد الذين غلب عليهم شقوة الحياة.

كما علقت شارات الصليب على أكتاف العوام في حملة الصليبية الثالثة سنة (١١٨٩-١١٩٢م) أيضاً لكن بطريقة مغايرة عن السابق. فقد حشد ملك الألمان فريدريك بربروسا Frederick Barbarossa[٣١] حشداً كبيراً من العوام في حملته بعد إستغاثة صليبيي الشرق بإخوانهم الغربيين من المسلمين سنة ١١٨٧م. مما سهل أمر العوام بالمشاركة في الحملة بأعداد غفيرة ظهر على بعضهم شارات الصليب عن طريق الوشم على إجسادهم[٣٢]. فمثلاً؛ فقد ظهر الوشم الصليبي باللون الأزرق أو بالنار على أجساد بعض المشاركين في الحملة من العامة كصورة مغايرة عن سابقتها حيث كانت عبارة عن شارات صليبية تخيط في قطع قماشية وتعلق على الأكتاف، فتزيد حماس العوام في المسير نحو تحقيق الأهداف التي وضعتها لهم الكنيسة أو رسموها لأنفسهم حسب رؤية كل منهم[٣٣]. ويعتقد أن هذا الوشم كان لثلة من العوام الذين غلب عليهم الجهل والأمية، وكانوا في حالة على خلاف مع الكنسية ويؤمنون بالخرافات التي يبتدعها خيالهم الديني ويعتبرون أن عملية الوشم بالنار على الأكتاف تجلب النصر في الحرب على الأعداء، فعملوا ساعين في نقش الصليب على أجسادهم معتقدين أنه في سبيل الرب.

ثالثاً: وسائل نقل العوام؛ فقد استخدموا العربات ذات العجلات Two –wheeled wagons لنقل أمتعتهم ومؤنهم إلى جانب المرضى والثكالى والشيوخ والأطفال في كافة الحملات حيث ظهر جليا منذ أول حملة صليبية على بلاد الشام عندما تم استئجار عربات تجرها الخيول والثيران لنقل المشاة في آسيا الصغرى إلى

بيت المقدس. كما استخدم العوام الخنازير والكباش والكلاب في حمل أمتعتهم بعد موت معظم خيولهم، وانعدام مختلف دواب الحمل عنهم لقلة المؤن ونفاذ أموالهم في تعويضها بالشراء[٢٤]، ومثال ذلك؛ وصف فوشيه معاناة العوام في عملية النقل بقوله: "ولقد كنت تضحك، أو ربما كنت تبكي رثاء، لو أنك رأيت كثيرا من هؤلاء الناس، ممن لم تتوافر لهم الدواب التي هلك كثير منها، وقد حملوا حاجياتهم من الثياب والطعام وغير ذلك مما يحتاجه الحجاج، على كبش أو جدي أو خنزير أو كلب. وقد قصمت الحمولات ظهور هذه الحيوانات الهزيلة وشقتها، وضطر الفرسان المسلحون أن يركبوا ظهور الثيران في بعض الأحيان"[٢٥]. ويتضح مدى معاناة هؤلاء الصليبيون في عملية نقلهم وشدة ندرة الدواب التي تحملهم أو تجرهم على العربات؛ أما لموتها أو لفقرهم في شراء ما يحملهم من الدواب، وبهذا تجد بعضهم يركبون على أي دابة يجدونها؛ لمشقة السفر وطول رحلتهم.

كما يتضح أن كثيراً من الفقراء المنضمين في الحملة الثانية، لم يستطيعوا التنقل عبر البحر، وإنما غالبا كانوا ينقلون في عربات تسحب عبر الخيول والتي تم استئجارها منذ انطلاق حملتهم. وقد تم نقل العوام عبر اثنين وأربعين عربة ذات العجلات التي تجرها الخيول في قفار بلغاريا وآسيا الصغرى، حيث اشترك آلاف الفلاحين والفقراء الغربيين في الحملة ذاتها[٢٦]. من جهة أخرى عمل الصليبيون على استخدام العربات والدواب معاً في معاركهم ضد المسلمين حيث قاموا بحمل ضعافهم وكبار سنهم الذين أثخنتهم جراحهم في المواجهات العسكرية حتى لا يدرك الصليبيين قتل رفقائهم في المسير أو أصابة أحدهم بجروح فتقل عزيمتهم في القتال ويقوى المسلمون في مواجهتهم[٢٧].

كما استخدم العوام في نقلهم إلى جانب العربات السفن التابعة للمدن الإيطالية التجارية، لنقل جنود المشاة للحملات الصليبية من شواطئ المدن الغربية والبيزنطية وسواحل البحر المتوسط إلى سواحل بلاد الشام، حيث تم استئجارها للنقل من قبل ملوك وأمراء الحملات؛ لأن غالبية العوام فقراء ومعدمين لا يملكون الأموال لاستئجار السفن لنقلهم إلى بلاد الشام. كما أن العديد منهم خرج تلبية لصعوبة الظروف الاقتصادية والمعيشية التي تمر بها بلادهم آنذاك[٢٨].

وهكذا تنوعت هيئة عامة الصليبيين المنضمين إلى الحملات الصليبية على بلاد الشام بين الثياب الرثة والتي يظهر عليها الأوساخ ويسودها القمصان مقطوعة الأكمام في بعض الأحيان، من جهة أخرى غلب على بعضهم ثياب من الحرير المتدني سعره وأرخص أنواع القماش المنتشر في أوساط المجتمع الأوروبي. في

حين كانت الشارات الصليبية تعد جزء من هيئة الرجل الصليبي المشارك في الحرب المقدسة التي كانت منتشرة في الحملات، والذي يعتقد بأنها سبباً في الانتصارات التي تحقق على أعدائهم في المواجهات الحربية. ونختم بما يبين هيئة النساء والأولاد والشيوخ والأطفال وعامة الصليبيين وحملهم على عربات النقل التي تجرها الخيول ومختلف الحيوانات التي يستعملها الصليبي في مسيرته إلى الأراضي المقدسة. كما كان للسفن دوراً مهماً في نقل العوام المشاركين في الحملات برسم هيئتهم التي توضح للقارئ شكل هؤلاء الذين يسرعون دون انتظام في الصعود إلى سفن المدن الإيطالية مقابل الأجر المادي أو مساعداتهم لحملهم وما يملكون من مؤن وخيام ودواب إلى بيت المقدس للامتيازات التي تعطى لهم من جهة الاختصاص في الحملات أو من ملك بيت المقدس نفسه.

-المبحث الثالث: أسلحة العوام في الحملات الصليبية:

لقد تنوعت أسلحة **Weapons** الصليبيين ما بين السيوف والخناجر، والدروع والخوذ، والعصي والقوس، والرماح والسهام والأقواس، وسيأتي ذكر ما سبق فيما يلي من صفحات:

أولاً: الخناجر والسيوف والدروع؛ فقد استخدم الصليبي الخنجر كسلاح في حربه؛ لصغر حجمه وخفة حمله، ويختلف استعماله في الحرب، حيث ستعمل للطعن دون المبارزة أحياناً، كما كان استخدامه في أصعب الظروف عندما يفقد المحارب سيفه فيأخذه إلى جانبه في القتال لتغلب على الأعداء. كما كان السيف أحد السلاح المستدام استخدامه مع الصليبيين في حربهم ضد الآخرين أيضاً، ومهما تشابهة المعدات الحربية في جميع الحملات إلا أن السيف كان يتسخدمه محاربيهم في مقدمة أسلحتهم، حيث مارسوا به مختلف أساليب فنون القتال لتحقيق غايتهم التي سعوا في تنفيذها، وخاضوا العديد من المعارك الحربية في سبيل إنجاح أهدافهم[٣٩]. وقد ساد نمط السيف القصير المستخدم مع العامة والحاد من الوجهين المنتهي طرفه على شكل مثلث، وله مقبظ دائري وأحياناً مسطحاً في رأسه، وله غمد مصنوع من الجلد في الغالب، ونادراً ما يغطى بالخرق البالية بدلاً عن الغمد كما شاع في الحملة الصليبية الأولى[٤٠].

أما الدروع والخوذ فقد لبس العوام في حربهم الملابس التي تقيهم ضربات السيوف والرماح مثل الخوذ الحديدية والدروع أثناء مشاركتهم في الحملات على بلاد الشام. كما لبسوا في المعارك الحربية معاطف فوقية من الجلود أو من الكتان المبطنة أيضاً، وعملوا على دعم الفرسان المثخنيين بالسلاح خلال

تقدمهم في المعركة، حتى يتمكن هؤلاء من الفوز بفرصة الهجوم على صفوف العدو. ويبدوا أن الملابس الحربية قد تكون عائقاً للمحارب أحياناً وقلما تكون سداً منيعاً للمحافظة عليه في الوقت نفسه، وقد تكون مهمة العوام أكثر من الفارس المدجج بالدروع والأسحلة أثناء القتال حيث يحتاج إلى مساعدتهم لحظة المواجهة الحربية[٤١].

ثانياً: العصي والفؤوس؛ فقد كان الصليبيون يستخدمون العصي عند انضمامهم إلى الحملات للدفاع عن أنفسهم. حيث كانت رمز لمن يشد الرحال (الحج) من بلاده إلى الأراضي المقدسة لزيارتها، أوللبحث عن أرض جديدة تكون لهم مأوى يعيشوا بها بعيداً عن الصراعات الحربية والاضطهادات التي عاشوها في حياتهم الغربية، وعلى سبيل المثال؛ أن أحد قيادة الحملة الصليبية الأولى وجد رجلاً من الفقراء في الغابة يركض هاربا وبيده عوداً خشبياً جافاً كان يدافع به عن نفسه أثناء هجوم الدب عليه، فعمل على نجدته بعد سماع صراخه، وقتل الرجل الدب بسيفه[٤٢]. ويتبين أن العصا كانت سلاحاً سائداً مع غالبية مشاتهم حيث كانت توازي سلاح القادة والأغنياء في الحملات ذاتها.

وفي الغالب كان سلاح الصليبيون الذين يعتلون الأبراج الحربية المصنعة لحصار المدن هي الهراوات، والتي بها يمنع الأعداء من السيطرة على آلة الحصار في زمن الهدو الحربي بين الطرفين. حيث حدد لهؤلاء المحاربين القسم الأوسط من كل برج حربي مكاناً يقيموا فيه مراقبتهم للأعداء والدفاع عنه. ومن هنا فقد استخدم العوام الكثير من العصي في الدفاع أيضاً عن أنفسهم وحماية الأبراج التي شارك معظمهم في صناعتها لهدم المدن والاستيلاء عليها[٤٣].

أما الفؤوس فهي آلة حديدية تستخدم لقطع الأشجار ونشرها حسب الغرض المحدد استعماله لمختلف نواحي الحياة، فيتم تشكيل الأخشاب حسب ما يريده الحرفيين من الصليبيين وقادتهم عندما قدمت لهم أساطيل المدن الإيطالية مواد تفيد إصلاح الأبراج الحربية لحصار المدن في الحملة الصليبية الأولى، فمثلاً؛ انضم أهل جنوة إلى معسكر الصليبيين في القدس جالبين معهم الكثير من المعونات كالحبال والفؤوس وأدوات أخرى تم بها بناء أبراج حربية استخدموها لحصار المدينة[٤٤]. ويتضح من ذلك وجود رجال حرفيين ومهنيين من عامة الصليبيين يتقنون صناعة الآلات الحربية المتخصصة في إقتحام القلاع والمدن الحصينة.

ثالثاً: الرماح والسهام والأقواس؛ فقد استخدم عامة الصليبيين الرماح في عملية الهجوم على الأعداء، ذات القضيب الخشبي الطويل، المنتهي طرفه برأس حديدي حاد، يرميه المحارب على هدفه قبل الإشتباك مع الآخرين، كما يستخدمه عند الوقوف على الأقدام للمواجهة ويقوم بطعن الأعداء برأسه الحاد، كما كان يعلق عليه الراية غالباً أثناء سير الحملات. وقد استخدموا الأقواس التي تطلق منها السهام التي لها دوراً مهماً في تحقيق الانتصارات على العدو، حيث يقذفونها مباشرة عليهم فتكسر شوكة المهاجمين ويقتل الكثير منهم[١٥]. بيد أن كثيراً من مشاتهم أجادوا رمي السهام من أقواسها في عمليات الهجوم والدفاع أثناء الحروب، وما حدث في عكاAcre خير دليلاً على فنهم في استخدامها لحماية آلاتهم الحربية وجنودهم في المعارك من هجمات الأعداء فمثلاً عمل الرماة على قمم الأبراج الحربية أثناء حصار مدينة عكافكان النصر حليفهم[١٦]. وبهذا يبرز دور الرماة من عامة الصليبيين في حصار المدن وحماية مقاتليهم من هجمات المسلمين.

وهكذا كانت أسلحة العوام بسيطة وتقليدية استخدمها الفقراء والأغنياء على حدٍ سواء في الحرب، إلا أن بعضها قلمستخدمها في الحملتين الثانية والثالثة على بلاد الشام مثل السكاكين (الخناجر) والهراوات؛ ويعود ذلك إلى ممارسة النظام العام السائد وانخفاض مشاركة العوام في هذه الحملات. إضافة إلى مشاركتهم في تجهيز الألآت الحربية وتوافدهم من مختلف الأقطار الأوروبية للسعي في تقديم خبراتهم الحرفية في صناعة الآلة الحربية وما يحتاجه المحارب الصليبي في اقتحام المدن وتسلق أسوارها في كافة الحملات الصليبية.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مشاركة العوام بشكل كبير في كافة الحملات الصليبية على بلاد الشام حيث كانت تضحياتهم بالآلاف بغرض الوصول إلى الأراضي المقدسة. فقد كان لبعضهم رؤية ثاقبة في التحرر من العبودية والمعيشة المتردية، والأقتداء بما أبداه البابا أوربان الثاني Orban II في مشروع الهجرة إلى فلسطين وبناء وطناً جديداً يغير من كدر حياتهم ويعيشون فيه بكرامة.

وتعد الرؤى من أهم المحفزات لهؤلاء العوام إلى جانب الخوارق التي تحدث حيث يتم استخدامهما من قبل السلطات العليا مقابل منحهم الوسام بأقوال تتعلق بالأخرة والخوف والرضا بما يريده الرب. كما حب

كثير منهم الشهادة في سبيل تحرير المقدسات ورضا البابوية والفوز في الأخرة، فقدموا نماذج متعددة لتحقيق أهدافهم المرجوة بنيل الشهادة في الحملات العسكرية على بلاد الشام.

وتؤكد الدراسة أن النذور كانت عامل قوي في جذب العوام إلى القتال بقوة تؤثر عليهم وتنفيذا لهذا أوفد الكثير من أوساط الناس الغربيين إلى الساحل الشامي. كما كان لشائعات تأثيراً أيضاً على عموم الصليبيين، فتظهر شجاعة لهؤلاء في مواجهة الأعداء أو العكس من ذلك.

توضيح ندرة ما ذكر عن هيئة العوام في إرتداء الملابس والأشكال التي كانوا عليها، حيث ذكر أنهم كانوا يلبسون ثياب رثة وبالية، وجزء منهم يرتدون ملابس رخيصة الثمن من الحرير. وما يجمعهم جميعاً وضعهم لشارات على الأكتاف والصدور عند ذهابهم إلى الحرب في بلاد الشام. كما كان الإهمال في ذكر ما يرتدية مرافقيهم من الشيوخ والنساء والأطفال علما بأنهم شاركوا فيها بأعداد كبيرة في كافة الحملات. في نفس الوقت عانوا في جل تحركاتهم ونقلهم في المؤانى البحرية وعلى البر مما كانت التضحيات بالمئات منهم في كل حملة عسكرية مذكورة.

كما تنوعت الأسلحة بتنوع طبقاتهم والعائد إلى الفقر في شرائها للسير في الحملات الصليبية حتى أن جلهم أخذوا العصي سلاحاً رئيسياً لهم. كما وجد منهم الرجال المهرة في تجهيز أبراج الحصار مما يعكس دورهم الفعال في الإستيلاء على المدن وبناء المستوطنات سكنا لهم.

الهوامش

([1])Krey (A.C.), The First Crusades ,London 1921,pp.171-175.

([2])هي الحربة التي طعن بها السيد المسيح على الصليب كما يعتقدون، حيث تم طمرها في كنيسة بطرس ليتخذها ذريعة للعامة في تمسكهم للقتال. انظر:المجهول: حولية المؤرخ الرهاوي: ترجمة: سهيل زكّار، ضمن الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، دمشق ١٩٩٥م، ج٥، ص٢٤؛ قدري قلعجي: صلاح الدين الأيوبي قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، بيروت ١٩٩٢م،ج١،ص٦٥.

([3])Guibert of Nogent, the Deeds of God Through the Franks," By, Robert Levine, 1997",P.2;Morris (C.), The Papal Monarchy The Western Church from 1050 to 1250," by: Henry and Owen Chadwick, New York,p.151.

([4])هوأحد الفقراء العوام المشاركين في الحملة الصليبية الأولى وصاحب الرؤى المتعددة وأشهرها رؤية الحربة المقدسة التي أخبر الناس عنها يوم ١٤ يوليو ١٠٩٨م في حصار أنطاكية من قبل الأتراك حيث تم طمرها في كنيسة بطرس.ولا يعرف تاريخ مولده في حين كان موته بعد تعرضه بالنار وتأثره منها في نهاية أبريل ١٠٩٩م تقريباً.انظر: مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م، ص٨٢-٨٥؛سحبه عماد أمير: الحرب الصليبية الأولى، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م، ص١٦٩.

([5])Murray (A.V.), International Medieval Reaearch From Clermont to Jerusalem The Crusades and Crusader Societies 1095-1500, University of Leeds,1998,p.60 ; Brundage (J.A.), Adhemar of Puy, "Speculum, Vol.34. No. 2. (Apr. ,1959)",jstor M. A. of America 2012, pp.201-212., p.205.

([6]) Krey (A.C.),Op.Cit.,pp.177-180; Nicolle(D.),The Third Crusade 1191 Richard the Lion heart, Saladin and the struggle for Jerusalem, UK 2006,p.43.

([7])فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة: زياد العسلي، لبنان ١٩٩٠م، ص٩٥؛ جوناثان ريلي- سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر،القاهرة ١٩٩٩م، ص ١١٠-١١١.

(8) فوشيه الشارتري: المصدر السابق، ص١٠٩-١١٢؛ بطرس توديبو: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص٢٢٤-٢٢٥.

([9]) هو أتابك الموصل وأحد أمراء الأتراك الذي عمل على توحيد المسلمين تحت أمرته لحصار الصليبيين في أنطاكية يوم ٥ يونيو ١٠٩٨م. مجهول: أعمال الفرنجة ،ص٧١-٧٣.

([10])مجهول: المصدر نفسه، ص٩٣-٩٤.

([11]) Constable(G.), The Second Crusade , Fordham 1953, p.241.

([12])فوشيه الشارتري: المصدر السابق، ص.١١

([13]) جوناثان ريلي - سميث: الحملة الصليبية الأولى، ص ٢٢٦و.٢٣١

([14])مجهول: أعمال الفرنجة،ص.٦١

([15]) فوشيه الشارتري: المصدر السابق،ص٤٤؛مجهول: صلاح الدين وريتشارد الحروب الصليبية الثالثة، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٩٩م،ج١،ص٨٣-١٠٦.

([16])George (V.),the Secular Motivations of the first Crusade," A Research Report Submitted to the Faculty",2002,p.17.

([17]) Bachrach (B.S.) Crusader logistic: from victory at resupply at Dorylaion, in Logistic of Warfare in the Age of the Crusades, by: John H., University of Sydney 2002, p.57.

([18])وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة ١٩٩٨م، ج٣، ص٢٧٢-٢٧٤؛ ميخائيل زابوروف: الصليبيون في الشرق، ترجمة : الياس شاهين، موسكو ١٩٨٦م، ص١٧٩.

([19]) Runciman(S.),The Decline of the Crusading Ideal, "The Sewanee Review, Autumn 1971, Vol.79 ,pp.498-513", 2012,p.2.

([20]) Constable(G.), Op. Cit.,p.240.

([21])Helen (N.), Women on the Third Crusade," Journal of Medieval History",1997,p.75.

([22]) بطرس توديبو: المصدر السابق، ص٢٥٧؛ جاناثان ريلي - سميث: الحرب الصليبية الأولى، ص١٥٥.

([23]) هو أدهيمار أوف روفنتيل المنتمي لعائلة نتينوا، عمل أسقف لأبوي من عهد البابا جريجوري السابع(Gregory VII(1073-1085، وحضر مؤتمر كليرمونت المنعقد بين ١٨-٢٨ نوفمبر ١٠٩٥م، وعينه البابا أوربان الثاني مندوبا له في الحملة الصليبية الأولى، فذهب على رأس الصليبيين بسيرة يملؤها الصدق

والإخلاص، وقد شهد الإستيلاء على المدن التركية في آسيا الصغرى من أيدي السلاجقة، وتوفي في أنطاكية يوم ١ أغسطس سنة ١٠٩٨م.Brundage(J.A.), Op.Cit., pp.201-206

([24]) رنسيمان ستفين: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، لندن ١٩٥٢م،ج٢، ص٣٦٤.

([25]) Krey (A.C.), Op. Cit.,pp.175-176.

[26]ريموندأجيل: المصدر السابق، ص١٦٦.

([27]) Odo of Deuil, De Profectione Ludovici VII in orientem ,Trans. Virginia G. B., New York 1948,pp.26-27.

([28]) Ekkehard of Aura, We're on a Mission from God," A thesis presented to the History Department, University of Washington 2011", p.72.

([29]) رنسيمان ستفين: المرجع السابق،ج٣، ص٤٣؛أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، لبنان ١٩٩٨م، ص٢٢.

([30]) Odo of Deuil, Op. Cit.,p.9; Constable (G.), Op. Cit. ,p.239.

([31])هو ابن فردريك دوق سوابيا، وأمه هي جودث Judith أخت هنري المتكبر وعمة هنري الأسد. توج فردريك إمبراطوراً على ألمانيا سنة ١١٥٢م بواسطة أرنولد Arnlod رئيس أساقفة كولون Cologne خلفا لعمه كونراد الثالث. كما توج أيضا في سنة ١١٥٥م من قبل البابا أدريان الرابع في كاتدرائية القديس بطرس بروما. وقد عرف فريدريك باسم بربروسا نسبة إلى لحيته الحمراء، واتصف بالشجاعة والعقلية الناضجة والعزيمة القوية، وسرعة الغضب. وفي سنة ١١٨٨م أخذ الصليب في مدينة ماينز Mainzالألمانية بعد دعوة البابا كليمنت الثالث له في حرب المسلمين فأنطلق في حملته المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام. وقد مات بربروسا سنة ١١٩٠م غرقا بنهر سالف في آسيا الصغرى. مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م، ص١٤٦-١٤٧و١٧٢.

([32]) Stanley (L.P.),Saladin and the fall of Kingdom of Jerusalem, London 1898, p.28.

([33]) ميخائيل زابوروف: المرجع السابق، ص١٦٠؛ جوناثان ريلي – سميث: المرجع السابق، ص١٥٢.

([34]) Haldon(J.),Roads and communictions in the Byzantine empire; Wagongs, horses, and supplies, in Logistic of Warfare in the Age of the Crusades, by: John H. Pryor, University of Sydney 2002, pp.138-140.

([35]) فوشيه الشارتري: المصدر السابق، ص٥١؛؛ أمين معلوف: المرجع السابق،ص٣٤-٣٥.

([36]) Odo of Deuil, Op. Cit.,p.25.

([37]) وليم الصوري: المصدر السابق،ج ٣، ص٢٥٣.

([38]) ريموناجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، دار المعرفة ١٩٨٩م، ص٨٧؛ قدري قلعجي: المرجع السابق،ج١، ص٧٨.

([39])Nicolle(D.), The Third Crusade 1191, p.27;Murray (A.M.),Op. Cit.,p.61.

([40])وليم الصوري: المصدر السابق،ج١،ص١٠٨.

([41])The GestaTancredi of Ralph of Caen, A History the Normans on the Frist Crusade, Trans. Bernad'sB.&David's B.,USA ,p.46.

([42])انظر: روجر أوف ويندوفر (ت١٢٣٧م): ورود التاريخ، ترجمة: سهيل زكار، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ٢٠٠٠م، ج٣٩، ص٤٦.

([43]) مجهول: صلاح الدين ريتشارد، المصدر السابق، ج١، ص١١٧.

([44]) Bachrach (B.S.), OP. Cit.,p.57.

([45]) مجهول: صلاح الدين وريتشارد، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٠و ج١، ص١١٦؛ ر. سي. سميل: المرجع السابق، ص١٨٢.

([46]) Stanley (L.P.),Op.Cit.,p.301.